الفصل الثالث

المرأة فى ظل الإسلام

- المرأة فى الإسلام .
- الواجبات على الرجل تجاه زوجته .
- موقف الإسلام من وأد البنات .
- موقف بعض سادات العرب من الوأد .
- المرأة المسلمة فى مجتمعنا المعاصر.
- المرأة المسلمة بين طريقين .

المرأة فى ظل الإسلام

إن الإسلام هو الذى أعز المرأة وحفظ لها كرامتها وشرفها وإنسانيتها والمرأة فى ظلال الإسلام ، إما طفلة فى المهد لها الحنان والحب والرحمة والرعاية الكاملة أو فتاة مهذبة شريفة تحافظ على كل قيم الشرف والعفاف والطهارة ، أو زوجة شريفة تبنى مع زوجها أسرة سعيدة ، ومستقبلاً حسناً لأبنائها ، أو أما فاضلة وسيدة كريمة ، ترى أن التعاون الكامل مع زوجها هو كل السعادة لها ولأولادها وللأسرة جميعاً .

وقد عرض القرآن الكريم لكثير من شئون المرأة فى أكثر من عشر سور منها سورتان ، عرفت إحداهما بسورة النساء الكبرى ، وعرفت الأخرى بسورة النساء الصغرى ، وهما سورتا النساء والطلاق . وعرض لها فى سور : البقرة ، والمائدة ، والنور ، والأحزاب ، والمجادلة ، والممتحنة ، والتحريم .

وقد دلت هذه العناية على المكانة التى ينبغى أن توضع فيها المرأة فى نظر الإسلام ، وأنها مكانة لم تحظ المرأة بمثلها فى شرع سماوى سابق ، ولا فى اجتماع إنسانى ، تواضع عليه الناس فيما بينهم ، واتخذوا له القوانين والأحكام ، وعلى الرغم من هذا فقد كثر كلام الناس حول وضع المرأة فى الإسلام ، وزعم زاعمون أن الإسلام اهتضم حقها ، وأسقط منزلتها ، وجعلها متاعاً فى يد الرجل ، يتصرف فيها كلما شاء بما يشاء ، يزعمون هذا والقرآن هو الذى يقول :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)

والحقيقة أن المسألة لا ترجع إلى حق يريدون تقريره ، أو باطل يريدون تزييفه ، وإنما هى العصبية الدينية ، أو الفتنة بالتقليد الأجنبي عن طريق استحسان ما يستحسنه القوى ولو كان قبيحاً منكراً ، واستقباح ما يستحسنه الضعيف ولو كان حسناً معروفاً . وهذا شأن درج عليه الناس استحسان ما يستحسنون، واستقباح ما يستقبحون [1]

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة للإمام محمود شلتوت ص ٢١٨.

وقد انتهى الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من موضوع المرأة فى الإسلام وطبق شرع الإسلام فى حكومات شتى ، وبلاد شتى ، وعصور شتى وأزمان شتى ولم تظهر قضية المرأة فى مجتمع الإسلام على أنها مشكلة إلا بعد أن ظهر الغزو الفكرى الأوربي ، وأصغر الفكر الشرقى أمامه فأصبح الفكر الغربي هو الوجه للفكر العربي المسلم وتسلل موضوع المرأة كموضوع من موضوعات المشكلات الاجتماعية لأهداف كثيرة أقلها خلخلة الاعتقاد فى صحة النظام الإسلامي للأسرة فى العصر الحديث ، والمطالبة بتطوير التشريع الإسلامي على سنن النظام الغربي ....

وبذلك يكسب المخطط الاستعماري الثقافى مكسباً ضخماً وهو حُوِّرَ فكر المسلمين فى أدق عناصر حياتهم فى موضوع الأسرة ، وإبعادهم من النظام الإسلامي.

ومن الغريب جداً أنه فى اللحظة التى نرى فيها الفكر الغربي يتهافت فى نظام الأسرة ونرى ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية تطالب جمهرة نسائها بالنص على وجوب تعدد الزوجات فى الدستور الألمانى . وفى اللحظة التى نرى فيها إيطاليا حالياً وهى عرين الفاتيكان تبيح الطلاق ... فى هذه اللحظات نرى أن سموم الفكر الغازى القديم التى سرت إلى النشاط النسائى العربي ما زالت عالقة بجدران التفكير للحركة النسائية كما زالت هناك مطالبات بتقييد الطلاق وتعدد الزوجات .

والغريب فى الموضوع أن الحركة النسائية العربية المعاصرة قد أغلقت أعينها عن نور الإسلام وفتحت كل أبصارها على ظلام الفكر الغربي تَعِبٌ من ضلاله لتسقى روضها بالمياه الملحة من المحيط الأطلنطى مقتنعة بأنها أصفى من ماء النيل الذى يهب للحدائق عطر الورود ورياض البساتين .وأعنى بالنيل هنا هدى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

ومن هنا فإن الحديث عن المرأة فى الإسلام سوف يكون منطلقه هو الإسلام نفسه إظهاراً للصورة الرائعة للحياة الكريمة التى هيأها الإسلام الحنيف للمرأة لتحيا موقرة عن مشاغبات الحياة وهواجس النفس . . . . وسوف نعالج الموضوع على النحو التالى :-

● أولاً : الطور الأول

قبل المولد : كان الشعور السائد فى المجتمع العالمى إبان ظهور الإسلام يتأفف من خلف البنت . وكان الإسلام فى المدينة المنورة يجاور عن كثب ـ اليهود والفرس والرومان والنصارى ـ وهؤلاء لهم فقه خاص ونظام خاص عن المرأة .... كما سبق أن بيناه .

فلما جاء الإسلام أراد أن يضع ذاتيته التشريعية فى مواجهة ذلك المنطق البشري كله فمهد الإسلام الحنيف بمدخل سيكلوجى نفسى عند الرجل ليستقبل المرأة فى الوجود الدنيوى بنفس راضية وصدر حنون ومشاعر طيبة . فربطها الإسلام برضوان الله بقول النبي صلى الله عليه وسلم :- « إن الله خلق الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ من القطيعة : قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلي : قال : فذاك لك » [1] .

فيضع الإسلام منزلة المرأة وهى ما تزال فى رحم الغيب بجوار مقام العائذ بالله من القطيعة أى فى مقام السلطان والعزة فهى فى جوار أمين ؟ وهى فى جوار صاحب الملك والتدبير والسلطان فمن ذا الذى يغضب الرحمن ؟ ولا تقف التهيئة الوجدانية عند هذا فقط بل إنها لتسير فى خط يثير الوجدان الطموح ، ويدفعه إلى التلذذ بخلف البنت فيجعل الإسلام دخول الجنة مرتبط بصلة الرحم ، يقول النبى ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » [2]

« من سرة أن يبسط له فى رزقه أو ينسأ له فى أثره فليصل رحمه » [3]

وإذا أساءت المرأة فرضا ـ واصلها ـ فإن الإسلام لم يحرمها من هذه المكرمة ـ ففى البخاري « ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل إذا قطعت رحمه وصلها » .

---

(١) رواه مسلم فى باب صلة الرحم .

(٢،٣) رواه مسلم .

وبذلك يضع التشريع الإسلامي المرأة فى كل أحوالها ومن قبل أن تولد على بساط التكريم والاحترام . فأرونى مثل هذا الشرع شرعاً جعل للمرأة مثل هذه الحظوه وهى فى الغيب المحجوب ما تزال شيئاً ما .

● **ثانياً : الطور الثانى**

طور طفولتها : كانت وما تزال البيئة البشرية ـــ تشمئز من البنت وكان وما يزال ـ الرجل متعلقاً بإنجاب الذكر لأنه حسب تفكيره امتداد لحياته واستمرار لاسمه وإحياء لذكره .

وكان وما يزال الرجل يرى أن البنت مصدر عار ، إنها تحمله مشقة نفسية فى التربية وتحمله مشقة اقتصادية فى النفقة ..... إلخ وذلك عبء ثقيل عليه .

ثم جاء الإسلام ، وقلب الفكرة ، وجعل مولد البنت مولد كرامة جديدة ، ففى الأثر : اخرجى وأنا عون أبيك ، وجعلها الله ـ عز وجل ـ لوالدها سترا من النار .

ففى مسلم :« من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار »[1] وجعل الإسلام الإحسان إليهن من مفاتيح الجنة . فقد روى الإمام أحمد والبزار والطبرانى : « من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة ، وقيل : يا رسول الله فإن كانتا اثنتين قال : وإن كانتا اثنتين ».

وجعل الإسلام إنجاب البنات عطية الله الأولى ومنحته السامية فقدمهن على الذكور فى قوله تعالى :- ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى:٤٩-٥٠)

فجعل لإنجاب البنت هبة من هباته وعطية من عطاياه جل شأنه وقدم ـــ هبة الأنثى على هبة الذكر ـ فأكسب هبة الإناث بهذا علو منزلة على عطيه الذكور .

---

(١) رواه مسلم .

وليس هذا فحسب بل جعل النبي ﷺ أب الإناث صاحبه يوم القيامة .

ففى مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :« من عال جاريتين جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ــ وضم أصابعه » .

ويواجه التشريع الإسلامي منكرات العادات الجاهلية التى تأخذ بوأد البنات ، فينعى القرآن الكريم على المشاعر المتحجرة قال تعالى :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

(النحل:٥٨-٥٩)

فتصحح الآيات القرآنية الفكرة الخاطئة وتبين أن الأنثى فى نظر الإسلام أصيلة فى نظام الحياة . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ (الحجرات:١٣)

وإذا كان أمر الحياة كذلك فكيف يغتم رجل إذا بشر بالأنثى .... ولهذا عالج القرآن قضية البنات بصورة ترهب العتاة ، وتحمى النسمة الطيبة التى يعبق بها الوجود أنساً ومودة وحناناً فيضع مسئولية هذه الفعلة الشنيعة يوم القيامة كأنما هو حدث كونى من الأحداث العظام يضعه مع الشمس إذا كورت والنجوم إذا انكدرت والجبال إذا سيرت والعشار إذا عطلت والوحوش إذا حشرت والبحار إذا سجرت ، والنفوس إذا زوجت والموءودة إذا سئلت بأى ذنب قتلت ؟

فى هذا الإيقاع الحركى المروع الجائح المروع يضع القرآن الكريم قضية الموءودة إحدى الموضوعات ليوم الحساب . ومن هنا من شريعة القرآن الكريم فقط تنبع كرامة المرأة دون مَنٍّ أو تمالل أو مغالاة . فأروني مثل هذا الشرع شرعاً جعل للمرأة مثل هذه الحظوه من التكريم والاحترام .

● **الطور الثالث**

إلى البيت السعيد ، الحياة الزوجية آية من آيات وحدانية الله وعظمته .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١)

فالناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر ، وتأتى هذه الآية فى إيقاعها الرفيق اللطيف الموحى لتلتقط هذه الصورة من أعماق القلب ونور الحس وتبرزها فى صورة ﴿ لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ لا شيء آخر ، وهو سكن مطمئن عفيف هادئ رائق ممتلئ بالبهجة والسرور . ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (وجعل بينكم مودة ورحمة) إبراز لحكمة الخالق يدرك بها العقلاء حكمة الله ــ جل شأنه ــ فى تلبية الحاجة الفطرية فهما معاً .

وكأنما الآية تهمس بيد الحنان على مشاعر البشر أفلا تذكرون قدرة الله التى أودعت فى نفوسكم رجالاً و نساء هذه العواطف والمشاعر وجعلت فى الصلة سكناً للنفس والأعصاب وراحة للجسم والقلب واستقرار للحياة والمشاعر وأنساً للروح والضمائر واطمئنانا للذكر والأنثى على السواء ولذلك حفظ الله بيت الزوجية بهذه الضمانات .

١ – رأى المرأة فى الزواج

وكأن البيت السعيد فى الإسلام بإذنها ففى الحديث الشريف : « ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت » [١]

ويقول عليه الصلاة والسلام : « الأيم أحق بنفسها والبكر تستأذن وإذنها صماتها » [٢]

وإذا كان فى المجتمع المعاصر سلوكاً غير هذا فهو ليس من الإسلام ولا من تقاليده ففى البخاري : أن خنساء بنت خدام أنكحها أبوها وهى كارهة فرد النبي ﷺ ذلك النكاح[٣]، وفى عهد النبي ﷺ رفضت بريرة مغيثاً ولم يأمرها ﷺ بقبول الزواج منه مع أنه كان يمشى وراءها فى الطرقات باكياً .

---

(١) رواه مسلم . (٢) إرشاد السارى ط١٠ ص ١١١ . (٣) رواه مسلم .

٢- مهرها نحلة

والزواج عقد كالعقود ولكن الله لم يسم الممنوح للزوجة ثمناً كما سماه فى البيع ولا عوضاً بل سماه نحلة ، والنحلة هى العطية التى لا تتقابل بعوض ولكنها تنحل للتكريم دون مقابل فهى رمز للمعنى السامى الذى لا تستطيع اللغات أن تعبر عنه ، إنه رمز المودة والنقاء والهناء فى سكن جُعل رحمة ومودة وقد سماه الله نحلة تقريراً لمبدأ يجب أن يراعى فى تقديم المهور .

ذلك أن نحلة النحل عسل مصفى فيه شفاء للناس ، ونحلة النحل هذه يطلبها النحل من أعلى الزهور نسبة فى السكر .

وإذا ارتشف النحل رحيق الزهر لم يترك عليه أثرا ولا ضررا يقدمه ولا من شفتيه فهو أخذ بلا أضرار فإذا عاد النحل أخرج الرحيق عسلاً بهيج اللون حلو المذاق. فإذا ما قدم للإنسان قدم شفاء وضعت فيه بركة الله . فكذلك المهر ينبغى أن يكون كذلك من مصدر حلال . لا يرتبط به أذى ولا منة . وأن يقدم بيد الحنان ، وأن لا ينتظر فى مقابله عوض ولهذا لم يجعل الإسلام له حداً محدوداً فالرمز فيه كناية عن الرضا ، وأعظم النكاح بركة أقله مؤونة .

٣- لا يجمع عليها قريبتها

ولما كانت الزوجية سكناً ومن مستلزمات السكن السعادة والطمأنينة فقد حافظ الله على مشاعر الزوجة وحافظ على حسن العلاقات داخل الأسرة والنسب فحرم الله أن يجمع الرجل مع زوجته واحدة من قريباتها المذكورات فى سورة النساء الآية ٢٢ من كل سيدة تمت لها بصلة القرابة أو النسب أما أو خالة أو عمة أو أختاً أو بنتاً لأحد الأخوين أو أختا من الرضاعة ..... إلخ .

٤- كما حرم الإسلام أن تسعى امرأة فى طلاق أختها من زوجها لتحل مكانها

ففى البخارى « لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صفحتها فإنما لها ما قدر لها » فليست الزوجية إشباع الشهوة ، وإنما هى قضية ود وسكن ولهذا فقد

حرم الإسلام على المرأة أن تستعمل بعض مميزاتها التى وهبها الله إياها لتفتن الرجل عن زوجته فتحل محلها بعد أن يطلقها .

وبذلك فقد برزت إحدى مفارقات التشريع الإسلامي عن التشريع الوضعى الذى تعانى منه المرأة فى النظام الأوربي وهو ما يسمى بنظام (العشيقات) .

٥- وكما حظر الإسلام على المرأة أن تعتدى على أختها فتطلقها لتحل محلها كذلك حرم الإسلام على الرجل أن يخطب على خطبة أخيه حفاظاً على المودة التى بدأت بين الخطيب وخطيبته وحفاظاً على المودة بين أبناء المجتمع الإسلامي القائم على الأخوة وأن يحب المسلم لأخيه مثل ما يحب لنفسه .

فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : - «نهى رسول الله ﷺ أن يبيع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب»

٦- تحريم الشغار

ليست قاعدة الحياة الزوجية مثل قاعدة البيع ولا مثل العلاقات العامة فى المجتمع التى تقوم على تبادل المنافع : إنها أسمى من ذلك كله إنها آية من آيات وحدانية الله وعظمته تذكر الناس بحكمة الخالقية التى جعلت من النوعين تكاملاً ينبثق معه الأنس والود والحنان ، وتمشياً مع هذه القاعدة الجليلة فى بناء الأسرة فقد حرم الإسلام نكاح الشغار وأن يتبادل الرجال النساء فى مقابل المهر، ففى الحديث الشريف :- «لا شغار فى الإسلام» .

٧- وعلى هذا النسق فقد حرم الإسلام استغلال المرأة كمصدر للتمويل .

يحكى جروف صامويل فى كتابه (المجتمع ومشاكله) : أن روما فى القرون الوسطى كان بها ست عشرة ألف امرأة تمارس البغاء وقد جعلتهم الكنيسة مصدراً لتمويل الضرائب وسمحت لهن بشرعية ممارسة هذا النوع من الانحراف المهين .

ومع هندسة شوارع سنغافورة بالزهور التى أشرفت عليها مهندسة صهيونية نظمت الصهيونية العالمية الدعارة فى هذه الجزيرة التى تعتبر مركزاً عالميا للتجارة والسفر ولا تجد الحكومات فى بلاد الغرب أو الشرق حرجاً من أن تملأ نسوة هذا النوع الفنادق ترويجاً للسياحة .....

ولكن الإسلام عفف المرأة من هذا التردى المهين وحافظ عليها عرضاً وشرفاً فقال تعالى :- ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ (النور:٣٣) .

فأرونى أيها السادة شرعاً مثل شرع الإسلام أعطى للمرأة مثل هذه الضمانات فى الحفاظ عليها .. ؟ وأرونى أيها السادة شرعاً غير الإسلام أعطى للزوجة مثل هذه الضمانات ... ؟ ضمانات الأنس والمودة والشرف والعفاف ..... ؟ أو تريد الحركة النسائية المعاصرة غير هذا ... ؟ إذا دلونى على السبيل .

● **الواجبات على الرجل تجاه زوجته**

١ – العشرة بالمعروف

يقول الله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء:١٩) ويطول حبل العشرة إلى إصلاح الخلل الذى يصيب حصن الزوجين فى بعض الأحيان فيقول الله تعالى : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:١٩)

فتوصى الآية بأن هناك راعياً فوق الأسرة يديم عليها المعروف كنظام فى العشرة ، ذلك الراعى صون التدين الذى يسيطر على قوى النفس ، وينادى من سويداء القلب : لم تكرهها ؟ ربما هذا الخير من أجلها .... فتترطب المشاعر الملتهبة ، ويزول شعور الكره العارض ، وتعود إلى الزوجية نسمة صبح الوداد لتنعش حياة الأسرة من جديد .

٢ – النفقة

ويوجب الإسلام على الرجال النفقة وهى نفقة حدها القدرة والإيسار فيقول الله تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق:٧) .

وتوضع فى النفقة جو يشيع بالحب والحنان لا تسلط فيه ولا عنف يقول النبي ﷺ « إذا سقى الرجل امرأته الماء أجر »[1]

فهل تريد الحركة النسائية المعاصرة أن تحدد النفقة ؟؟ وإذن فما حظ المرأة التى قدر لها الأقل وقد أيسر صاحبها أو ما ذنب الرجل إذا أعسر وقد قدر عليه ما لا يقدر عليه ؟ والله يقول : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (الإسراء: ٣٠) ، وليست الحركة النسائية المعاصرة هى التى تبسط الرزق وتقدر فكيف تقنن النفقات والعسر واليسار بينه الله ، والله لا يكلف نفساً إلا ما آتاها ....

والله هو الذى يجعل من بعد عسر يسراً .... إذن تقنين النفقة بقدر ثابت خروج بقانون الأسرة عن حياض الشريعة وربقة الإيمان بالله الذى جعل العسر واليسر بيده هو .....

٣- حفظ سرها

يا لعظمة الإسلام وهو يحوط المرأة بسياج من الستر يحفظ عليها ماء وجهها ويخفى عن الناس بعض خصائصها الخاصة التى تتحلى بها مع شدة وقارها فإذا ما عرفت ربما رآها الناس صغيرة أو تقززت هى من نفسها يقول ﷺ : « وإن من أشر الناس يوم القيامة : الرجل يفضى إلى امراته وتفضى إليه ، ثم ينشر سرها » .

لقد شاء الإسلام أن تبقى للمرأة خصائصها سراً لا يجوز للرجل أن يذيعه ليبقى لها كبرياؤها وأنوثتها وكرامتها بعيداً عن سمع الناس وخواطرهم .

٤- حفظ مالها

النظام الجاهلى قديماً وحديثاً فى أوربا لا يعطى حقاً للمرأة فى التصرف المباشر فى أموالها .... وجاء الإسلام الحنيف ليؤسس للمرأة حقاً طبيعياً فى ملكية المال وأهلية التصرف فيه يقول الله تعالى :

---

(١) رواه البخارى .

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (النساء:٧)

ولقد حرص الإسلام على أن تبقى ملكية المرأة وأهليتها فى التصرف حقاً ثابتاً فنص القرآن الكريم على عدم التدخل فى شؤونها المالية قال تعالى :

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ٢٠)

﴿ وَءَاتُوا ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾
(النساء:٤)

فصلت الآيات على أنه لا يجوز ألبته أخذ شيء من مال المرأة إلا عن رضى نفس منها ، وقد برزت الصورة التركيبية فى الأسلوب القرآنى بما لا يبيح اجتهاد فى جواز أخذ شيء ولو كان يسيراً دون إذنها الطبيعى .

٥- عدم إحراجها

ومن الواجبات التى يحتمها الإسلام على الرجل تجاه زوجته عدم إحراجها . فإذا كان مسافراً فلا يرجع إليها ليلاً دون أن يخبرها بعودته . ففى البخارى : قال رسول الله ﷺ : « إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً »

وفى الطبرانى فى الكبير :- « ولا تطرقوا النساء ليلاً »

وفى مسند الإمام أحمد بن حنبل ــ رضى الله عنه : « وكان رسول الله ﷺ لا يطرق أهله ليلاً » وهكذا يضمن الإسلام للمرأة حياة طبيعية طيبة وهذه الحياة على نحو ما شرحناه هى مفهوم :« **الرجال قوامون على النساء** » .

فالقوامة : تمام الرعاية وكمال الضبط وهى تكليف من الله إلى الرجال ليحسنوا رعاية الأسرة وقد حبا الله الرجال من الخصائص ما يؤهلهم لهذه القوامة . فإن تخلى الرجال عنها فقد تخلوا عن أمانة من أمانات الله . ويوم أن يتخلى عن القوامة الرجال

تتعسر الحياة فى شرفنا الإسلامي كما فسدت الحياة فى الغرب المترنح بين أفانين الفساد . فهل يريد الرجال التخلى عن القوامة وهى أمانة الله فى أعناقهم ؟ وهل تريد المرأة أن يتخلى الرجل عن قوامته لها فتنهار ؟

وبهذا نعلم علم اليقين ويتضح لنا بجلاء لا غموض فيه أن الإسلام حمى المرأة من ظلم الرجل واستعباده ، إذ كانت قبله جزءاً من المتاع تورث كما يورث ، وتمنع المطلقة من الزواج ظلماً ، كما لا يحق لها أن ترث شيئاً . وكان الرجل إذا كره زوجته ، وخاف من الالتزامات المالية ــ نتيجة طلاقها ــ أساء عشرتها ، حتى تبرئ ذمته من حقها قبله ، أو تفتدى نفسها ببعض المال ، ولا يزال بعض هذا الظلم معمولاً به فى بعض الجهات ، وكان إذا كرهها ، يبيعها فى بعض المجتمعات . فرفع الإسلام عنها هذا الظلم ، عندما أنزل فى القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ (النساء:١٩)

ثم يتبع هذه الآية بحَثِّ الرجال على الصبر عليهن ، حتى لو بدت منهن حدة أخلاقهن ، ويغريهم بإمساكهن ، فيقول تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (النساء:١٩)

وينهى عن استرجاع ما دفعه الرجل لها من الصداق فيقول تعالى : ﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ (النساء:٢٠) .

فإن ما أخذته المرأة من المهر ، لا يستحله الرجل بالطلاق [1] .

وكان الرجل الذى يطلق زوجته يمنع مطلقته من الزواج حتى يأخذ منها ما يشاء ، والزوج المبغض لزوجته يسيء عشرتها ولا يطلقها ، حتى ترد إليه مهرها . وكانوا لا يعدلون بين النساء فى النفقة والمعاشرة ، فأوجب الإسلام العدالة بينهن .

---

(١) المرأة بين التبرج والتحجب ص ١٥٦ . أ . محمد أحمد السباعى .

وحماها الإسلام من التعدد فقد كان للرجل أن يتزوج ما شاء من النساء فحدده الإسلام بأربع ، ثم فضل الواحدة وليست الإباحة فى ذاتها بموجبة التعدد ، إنما كان فى حالات الضرورة تجنباً من الوقوع فى شر منه .

فقد فضله على تعطيل الزواج عن مقصده الطبيعى فى الإنجاب ، فأباح الزواج على العقيم كما أباحه فى حالة مرض المرأة ، مرضاً يعجزها عن القيام بواجبات الزوجية والأسرة .

وأبيح فى حالة زيادة عدد النساء على عدد الرجال ، نتيجة الحروب التى كانت تعصف وما زالت بالرجال ، فإذا اختلت نسبة التساوى العددى ، فلا حل إلا بالسماح بالتعدد وإلا وقع المجتمع فى مفاسد كثيرة ، لأن المرأة غير المتزوجة تعيش عيشاً أشبه بالبطالة ، حتى ولو كانت عاملة ، فهى تشعر أنها فى غير وضعها الطبيعى من المجتمع ، ثم إن الزواج يجعل المرأة فى مأمن من الفتنة فى ظل رجلها .

ثم إنه قد يكون تزوج الرجل على المرأة أحفظ لكرامتها من الابتذال ، والتورط فى المخادنة .

وبالرغم من هذه الإباحة : فقد جعل لها مطلق الحرية ، فى أن تقبل الزواج على ضرة أو ترفضه ، فإذا هى تدخله اختياراً فإذا أخفى عنها زوجها أنه متزوج فلها الحق فى طلب فسخ الزواج .ثم إنه أجازه ، وضيق السبيل إليه ، حيث اشترط العدل بين الزوجات .

والعدل المطالب به : فى العطاء ، والمبيت ، وأما فى الحب والوقاع ، فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال تعالى :﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ (النساء:١٢٩)

أى لا تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس [١] .

---

(١) المرأة بين التبرج والتحجب ص ١٥٨ .

وكان رسول الله ﷺ يعدل بين زوجاته فى العطاء ، والبيتوتة فى الليالى ، ويقول لهن « اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك » .

● **كما حمى الإسلام المرأة من إسراف الرجل فى الطلاق**

* فبغض الإسلام الطلاق ، فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أبغض الحلال عند الله الطلاق » .

* وطالب الرجل بالتريث قبل إيقاعه ، وطالبه بألا يوقعه بمجرد نفوره من زوجته ، فقال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ١٩)

* فإن عجز عن مغالبة شعور الكراهية ، فالطلاق الرجعى فيه فرصة للتأنى ، عسى أن يعاود الرجل حنينه إلى الحياة الزوجية ، فيعدل عن الطلاق .

* ثم جعل الطلاق ثلاث مرات ، يفصل بينها زمن يكفى لإسكان حدة الغضب.

* ثم شرط أن يكون الرجل فى كامل وعيه غير مكره عليه إلى غير ذلك .

* ثم إذا وقع : فللزوجة حقوق : لها مؤخر صداق ، ولها النفقة مدة العدة ، ونفقة أولاده لأنها أحق منه بحضانتهم .

* ولها متاع بالمعروف حقاً على المحسنين .

* كما حماها من إسراف الرجل فى الغيرة ، وطالب الرجل بالاعتدال فيها، فلا يبالغ فى إساءة الظن بها ، والتعنت وتحسس البواطن ، فقد نهى رسول الله ﷺ عن تتبع عورات النساء .

● **موقف الإسلام من وأد البنات**

كان العرب فى الجاهلية يقتلون بناتهم عند ولادتهن خوفاً من العار ، ويقتلون أبناءهم خوفاً من الفقر .

وكان بعضهم يدفن ابنته وهى حية مخافة أن تأكل من طعامهم أو تجلب لهم العار . فحرم الإسلام وأد البنات ، وقتل الأبناء ، لأنه لا ذنب للبنات ، ولا ذنب للأبناء ، وقد خلقهم الله جميعاً ، وكفل وضمن لآبائهم وأمهاتهم الرزق ، فهو الرزاق للآباء والأمهات والأطفال .

فالإسلام دين الرحمة والشفقة والعطف والإنسانية ، لا دين القسوة والغلظة والوحشية .

وقد ورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة تحرم وأد البنات ، وقتل البنين ، وقد سبق ذكر بعضها .

فكانوا إذا بشر أحدهم وأخبر بأنه قد ولدت له أنثى صار وجهه مسوداً من الحزن ، وهو مملوء غيظاً يكتمه ويكظمه . يحاول الاختفاء عن أعين الناس ، لئلا يروا كآبته وحزنه من الألم الذى أصابه من سوء الخبر الذى أخبر به (وهو أنه قد ولدت له بنت) [1] .

وكانت المرأة فى الجاهلية إذا حملت حفرت لها حفرة وتمخضت على رأسها، فإن ولدت بنتاً رمت بها فى الحفرة .

فالإسلام يحرم وأد الأطفال ، سواء أكانوا بنات أم بنين ، لأنه دين الإنسانية والرحمة ، لا دين القسوة والغلظة كما لا يجوز قتل البنات والبنين خوفاً من الفقر ، فالأرزاق بيد الرزَّاق ذى القوة المتين ، وقد ضمن جل شأنه رزقهم ورزقكم. وإن قتلهم كان إثماً كبيراً .

كما يحرم وأد البنات خوفاً من العار ووأد البنين خوفاً من الفقر فى المستقبل[2] .

---

(١) مكانة المرأة فى الإسلام محمد عطيه الإبراشى ص ١٣-١٤ بتصرف .

(٢) مكانة المرأة فى الإسلام ص ١٧ محمد عطيه الإبراشى

● **موقف بعض سادات العرب من الوأد**

ذلك وقد نهض من سادات العرب من حال دون الوأد بما بذل من مال جم ، وسعى وفير، ومن بين هؤلاء صعصعة بن ناجية التميمى ، فقد كان يلتمس من مسها المخاض ، فيغدوا إليها ، ويستوهب الرجل حياة مولوده إن كانت بنتاً على أن يبذل له فى سبيل ذلك بعيراً وناقتين عشراويين[1]، فجاء الإسلام وقد افتدى أربعمائة وليدة [2].

ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل القرشي، كان يضرب بين مضارب القوم فإذا بصر برجل يهم بوأد ابنته قال له : لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها ، ويلى أمرها حتى تشب عن الطوق ، فيقول لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤونتها[3] .

وصعصعة بن ناجية بن عقال هو جد الفرزدق بن غالب ، قال السيوطى : (وأخرج الطبراني عن صعصعة بن ناجية المجاشعى ــ وهو جد الفرزدق ــ قال : قلت : يا رسول الله إنى عملت أعمالاً فى الجاهلية ، فهل لى فيها من أجر ؟ قال : وما عملت ؟ قال : أحييت ثلاثمائة وستين موءودة أشترى كل واحدة منهن بناقتين عشراويين وجمل ، فهل لى فى ذلك من أجر ؟ فقال النبي ﷺ وسلم : « لك أجره إذا من الله عليك بالإسلام)[4] .

وقد افتخر الفرزدق بهذا فى قوله :

ومنا الذى منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يُوأدِ

---

(١) الناقة العشراء : التى أتى عليها من وقت حملها ، عشرة أشهر .(١٢٨) « الأغانى » (٣/٩٩) .

(٢) عودة الحجاب ص ٧٠ نقلاً عن الأغانى (٣/٩٩) .

(٣) رواه البخارى .

(٤) المصدر السابق ص ٧١

وفى قوله أيضاً :- [1]

أنا ابن عِقال وابن ليلـى وغالـب ... وفكّاكُ أغلال الأسـير المكفّـر[2]
وكان لنا شيخان ذو القبر[3] منهما ... وشيْخ أجار الناس من كل مَقـبر
على حين لا تُحْيَى البناتُ وإذ هُم ... عُكُوفٌ على الأصنام حول المُدَوَّر
أنا ابن الـذى ردَّ المنيّـة فضـلُه ... وما حَسَبٌ دافعتُ عنـه بمعـور
أبي أحد الغيثين صعصـعة الـذى ... متى تُخْلفُ الجوزاءُ والنجمُ يُمطـر
أجار بنات الوائدين ومـن يُجـرْ ... على القبر ، يعلم أنه غـيرُ مخفـر
وفارق[4] ليل من نسـاء أتـت أبي ... تعالج ريحـاً ليلُهـا غـير مُقْمـر
فقالت : أجر لى ما ولدت فـإنني ... أتيتك من هَزْلَى الحمولـة مُقْتـر
رأى الأرضَ منها راحة فرمى بهـا ... إلى خُدَود منها وفى شـر مَخْفَـر
فقال لها : نـأمى فأنـت بـذمتى ... لبنتك جارٌ مـن أبيهـا القَنَـوَّر

ويقال :(إنه اجتمع جرير والفرزدق يوماً عند سليمان بن عبد الملك ، فافتخرا ، فقال الفرزدق : أنا ابن محيي الموتى ، فقال له سليمان : أنت ابن محيي الموتى ؟ فقال : إن جدى أحيا الموءودة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة:٣٢) فتبسم سليمان وقال : « **إنك مع شعرك لفقيه** »

وبالجملة فكان الوأد عادة من أشنع العوائد فى الجاهلية مما يدل على نهاية القسوة ، وتمام الجفاء والغلظة [5] .

---

(١) من قصيدته التى مطلعها : **بنى نهشل أبقول عليكم ولم تروا ... سوابقه حام للذمار مشهر**
(الديوان ٢/٤٧٤)

(٢) المكفر : هو الذى كفر ، وكبل بالحديد .

(٣) ذو القبر :غالب ، كان يستأجر بقبره والعياذ ، والذى أجار الناس من القبر ، وأحيا الوئيدة:صعصعة.

(٤) فارق :يعنى امرأة ماخضاً ، شبهها بالفارق من الإبل ، وهى الناقة التى يضربها المخاض فتفارق الإبل، وتمضى على وجهها حتى تضع .

(٥) المصدر السابق ص ٧٣ .

● المرأة المسلمة فى مجتمعنا المعاصر (*)

ولعل قائلاً يقول : إذا كانت هـذه نظـرة الإسـلام للمـرأة ، وهـذه مكانتهـا وهـذا دورها وتاريخها ومشاركتها فى بناء مجتمعاتنا الزاهرة ، فأين هى اليوم ؟ وهو تساؤل فى محله ، وإجابته تتضح فى تصورنا لواقعنا الفكرى ، والاجتماعى فالمرأة جزء مـن هذا الواقع ولا يمكن أن يشذ الجزء عن الكل ، فإذا كان واقعنـا صـحيحاً حيـاً ينـبض بالايمان والقوة ، فلابد أن تكون المرأة صاحبة نصيب فيه وصورة منـه ، وأمـا إذا كـان مريضاً متفسخاً تائهاً ، فـلا عجـب أن تظهـر آثـاره عليهـا وتتضـح أدوائـه وعلله فـى محيطها ودائرتها ، ومما لا يختلف عليه اثنان أن واقعنا بشـكل عـام مـريض وبخاصـة واقعنا الفكرى والاجتماعى .

لقد أصيب مجتمعنا فى صـميمه حـين أفلـت زمـام القيـادة منـه وحـين ضـعف وتدهور ، فوقع فريسة للغزو الفكـرى والاجتمـاعى الغربـي ، وكانـت إحـدى ميـادين الغزو الخطيرة التى نصبت فيه الشباك وسلطت عليـه السـهام هـو الجانـب الاجتمـاعي وأعان على ذلك عدة عوامل :

١- انحطاط المجتمع الإسـلامي ووصـوله إلى درجـة الجهـل والتقليـد وظهـور ذلك بأجلى صورة فى تخلف المرأة وعدم العناية بتعليمها ، وتربيتهـا حتـى أصـبحت نفسيتها فارغة خالية من قيم الإسلام ، ومن هنا سهل غزوها والتأثير عليها. وكما قيل: (المغلوب مقطور على تقليد الغالب) ، (ومن لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل).

٢- دخول الحضارة الغربية بلاد المسلمين فاتحة وغازية مستعمرة موتـورة مـن الإسـلام وأهلـه . . . فكانـت خطتهـا كيـف تخـرج المسـلمين مـن إسـلامهم وكيـف تخضعهم لطريقة الحياة الغربيـة حتـى تظـل لهـا السـيطرة . . . وكـان معهـا الوسـائل الحديثة المؤثرة من تعليم وصحافة وسينما وغير ذلك .

(*) انظر الإسلام وبناء المجتمع د . أحمد محمد العسال من ص ١٦٠-١٦٢ .

٣- الجاليات الأجنبية وما تقوم به من نشاط اجتماعي موجه ومركز وخاصة لمن بيدهم مقاليد الأمور بغية التأثير فيهم . وجذب عائلاتهم لتقليدهم .. مع وجود الداعى لذلك وهو تفوق المرأة الغربية فى الجانب التربوي والاجتماعى وفراغ المرأة المسلمة وفقرها النفسي مما يدفعها إلى الإعجاب والمحاكاة كما أسلفت .

٤- اهتمام الغرب بالطوائف المسيحية فى الشرق الإسلامي . . . وأخذ هذه الطوائف بأساليب الحياة الغربية ، ثم انتشار التعليم الحديث بينهم . . . وقيام هذه الطوائف باجتذاب أبناء المسلمين لمدارسهم . . . ثم تكوين الجمعيات النسائية ودعوة المرأة المسلمة إليها واجتذابها بحجة الدعوة إلى مطالبها فى الحرية والمساواة والاختلاط على نحو ما حدث فى الغرب .

وإن دراسة جادة عن الجمعيات النسائية التى تكونت فى الشرق الإسلامي ستضع أصابعنا على أشياء كثيرة ، وستبين الصلة الوثيقة فى البداية بين التبشير والطائفية من جهة وبينهما وبين التأثير على المرأة المسلمة من جهة أخرى.

٥- ولما كانت حاجة المسلمين للغرب شديدة فى الجانب العسكرى والعلمي، فذهبت البعثات الأولى فنقلت من الغرب تقاليده وآدابه ، وعاد هؤلاء ينشرون التغريب . ونجد برهان ذلك فى كتابات رفاعة الطهطاوى . . . ثم قاسم أمين وطه حسين وغيرهم . . . وجميعهم عاش في باريس . وكانت درجة تأثرهم متفاوتة . وافتتن قاسم أمين بالحياة هناك ، وخاص تجربة غرامية . . . وعاد ليدعو المرأة إلى السفور والتحرر وإن كان قد حاول أن يجعل ذلك فى إطار الشريعة [١]

ولم يكن قاسم أمين يدور بخلده أن تحرير المرأة معناه هذا الشعور العظيم ومعناه هذا الاختلاط الأعظم بين الرجل والمرأة ، ومعناه أن تتزوج المرأة ستة أزواج معاً ومعناه أن تقتل المرأة زوجها وابنها من أجل عشيقها ، ومعناه أن تدس المرأة

---

(١) الإسلام وبناء المجتمع د . أحمد محمد العسال ص ١٦١ .

السم لزوجها فى طعامه من أجل الخلاص منه لتفرغ لعشيقها، ودعاة تحرير المرأة اليوم يريدون لها أن تتمتع بكامل حريتها فتتزوج عرفياً كما تحب وتخرج من البيت ولا تعود إليه إلا ليلاً كما تريد وتصادق وتراقص من يحلو لها ، وكما يحلو لها، ومعناه عندهم أن يكون لها القوامة على الرجل تطلق نفسها منه ، وتستبد بالقرار فى شؤون الأسرة وفى غير شؤون الأسرة ، وأن تتساوى معه فى كل شيء فى الحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية يريدون تحرير المرأة على أوسع نطاق ، لا لمصلحة وطنية أو أسرية ولكن لمجرد تحرير المرأة ومن الطريف اليوم أن الرجال عادوا يطالبون بتحرير الرجل .

والمرأة التى يتخذونها مثالاً ومثلا لهم فى تحرير المرأة هى المرأة الأوربية فهل يريدون للمرأة العربية المسلمة أن تقف عارية فى بيت صغير من الزجاج فى واجهة بعض المحلات ليتفرج عليها الرجال عارية نظير رسم معين ؟ أم يريدون لها أن تتخذ من الرجال العشرات أخلاء وعشاقا لها كما تحب ؟ أم يريدون لها أن تترك البيت والأولاد لتفرغ هى للذاتها خارج المنزل ؟ أمر عجيب حقاً . . . . هل كان قاسم أمين يريد من التحرير كل هذا ؟ وهل كان يطلب من الطالبة الجامعية أن تتزوج عرفياً بزميلها وتعاشرة معاشرة الأزواج دون علم الأب والأم والأخوة والأخوات ؟ إن هذه الأوراق التى اختلط بعضها ببعض لا تبنى مجتمعاً ولا تحافظ على شرف ولا تدعوا إلى كرامة أو فضيلة أو عفة فماذا يبقى من بناء الأسرة المسلمة إذن ؟ إن أمرنا اليوم ليدعوا إلى كل أسف وكل حزن عميق . [1]

● **المرأة المسلمة بين طريقين**

وهكذا فإن المرأة المسلمة ــ وهى تواجه هذه الغزوة الخطيرة ــ عليها أن تختار بين طريقين :

---

(١) انظر مجلة الأزهر ذى القعدة ١٤٢٠ هـ د . محمد عبد المنعم خفاجي .

١ - طريق التغريب القائم على المادية والمتعة والذى جعل منها أداة للتسلية والفتنة فأذهب حشمتها وعفتها وعرى جسدها ، وفرغ نفسيتها من الوازع الإيماني والأخلاقى . . . ووضع زمامها فى يد الأهواء والشهوات ، ورجع بها إلى الجاهلية الأولى . . . وهى إن تولت ذلك الطريق ـــ بعد أن تعرت هذه الحضارة فى ذلك الجانب وظهر بلاؤها وخبثها ـــ فقد مسخت شخصيتها وكفرت بنعمة الله عليها وأحلت قومها دار البوار .

٢ - طريق الإسلام . . . وهو الطريق الذى غذيت به طفلة ونشأت عليه يافعة وارتبطت به تاريخاً وحضارة ومصيراً . وقبل ذلك وبعده هو الحق الذي يوافق الفطرة ويزكيها ويسعدها . . . إن مسؤولياتها ثقيلة وليست سهلة ولا بسيطة ذلك أن حضارة أخرى وفلسفة أخرى على النقيض فى الروح والاتجاه والأخلاق قد حلت بواديها وأجلبت بخيلها ورجلها وأزيائها وصحافتها وإعلامها ودخلت إلى الصميم فى قلوب كثير من المنتسبين إلى الإسلام وأمته ، ومن هنا فالمسئولية خطيرة والتبعة ثقيلة ولكن يُسهل الأمر ويُيسره على المرأة المسلمة أصالة الإسلام وحيويته وارتباط الفطرة به وقدرته على الإمداد من جهة ، وإفلاس الحضارة الغربية وانهيارها من جهة أخرى ، والسؤال الآن كيف تواجه المرأة المسلمة هذا التحدى الذى يواجهها فى عقر دارها ؟

وقبل أن نسارع إلى الإجابة لابد أن نبين أن هذا التحدى ليس قاصراً عليها وحدها ، وإنما موجه إلى المجتمع كله برجاله وشبابه وعلمائه ومفكريه ولابد لهم أن يبذلوا جهودهم وفكرهم فى حل المشكلات التى تواجه المرأة المسلمة [١]

إن كيفية المواجهة تحتاج إلى أن يعاد بناء المرأة المسلمة وفق الأصول الإسلامية الصحيحة ، وتتربي على ذلك ، ولابد أن ندرك أن ذلك يحتاج وقتاً وجهداً وممارسة وعملاً وتدرجاً ، فما وجد أحد حلاوة الإيمان إلا بتذوقه وما أدرك إنسان نفاسة الشيء وتقديره إلا بفهمه . فمن جهل شيئاً عاداه ، وفاقد الشيء لا يعطيه . . .

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٦٣

وأن تتكون لديها عن طريق هذا الفهم وتلك الممارسة القدرة على فحص الأفكار ونقدها ووزنها بميزان الإسلام فتستطيع أن تختار النافع وتتجنب الضار فلا تصبح محلاً للاستهواء الرخيص كما هو حادث الآن فى المجلات النسائية ، ولا للتقليد الهدام المدمر كالعبث الذى يقوم به مصممو الأزياء وبيوت الموديلات . وأن تعانى المرأة المسلمة من قبل المفكرين والعلماء المسلمين على إيجاد تيار إصلاحى تقوم فيه المرأة المسلمة بدور متميز يوافق خصائصها ويخدم دينها ، ويقدم البديل على تيار التغريب فى مجال تربية الطفل وتنظيم البيت وتنمية المجتمع وما يغطى ذلك من كتب نافعة ومجلات متخصصة ففى ضوء هذه الأمور الموجزة كل الإيجاز التى تحتاج كثيراً من التفصيل يمكن أن تواجه المرأة المسلمة التحدى فتنقذ نفسها ومجتمعها وتهدى غيرها .. [1].

والإسلام دين الفطرة كذلك فى اعترافه بأن الرجل يفضل المرأة فى بعض الأمور ، فهو أطول منها قامة فى المتوسط ، وهيكله العظمى أضخم من هيكلها ، ووزنه أثقل ، وعضلاته أصلب ، ومخه أكبر وكذلك قلبه، يعتريها دون الرجل عارض الحيض فيهز جسمها بضعة أيام كل شهر . ويتزوج الرجل ، وتتزوج المرأة وينجبان ، فلا يبدو على الرجل عارض ، وإنما سيظل كما هو ولكن العوارض التى تمس جسم المرأة بسبب الزواج والحمل كثيرة ولا يمكن أن تخفى ولا تساوى المرأة الرجل فى أى عمل اشتركا فيه ، ولو كان من الأعمال التى انقطعت لها المرأة منذ عاش الجنسان فى معيشة واحدة ، لا تطبخ كما يطبخ ، ولا تتقن الأزياء كما يتقنها ، ولا تبدع فى صناعة التجميل كما يبدع فيها .

ولقد أثبت العلم الحديث اختلاف حجم دماغ المرأة عن حجم دماغ الرجل ، واختلاف طريقة تفكير كل منهما بسبب اختلاف نوع الهرمونات وتأثيرها فى طريقة معالجة الأمور لدى كل من الرجل والمرأة وفى ذلك حكمة واضحة لمن ألقى السمع وهو شهيد .

---

(١) انظر الإسلام وبناء المجتمع د . أحمد محمد العسال ص ١٦٢-١٦٣ .

فالمرأة تكون متمردة إذا أرادت التساوى مع الرجل فى كل شيء ، ويجب على المرأة ألا تضيق بتفوق الرجل عليها فالرجل ليس غريباً عنها ، وليس من كوكب آخر أو عالم آخر ، إنه أبوها وأخوها وزوجها فلا داعى لهذه المنافسة التى تثار بدون أساس فما أحوج الرجل للمرأة ، وما أحوج المرأة للرجل [1] .

لكن الذين فى قلوبهم مرض والحمقى والمغفلون والمأفوفون الذين لا ينظرون أبعد من مواطئ أقدامهم ، يغبطون المجتمعات الغربية الكافرة والشرقية الملحدة على ما تتمتع به تلك المجتمعات من عدالة ومساواة وتكريم للمرأة — بزعمهم — وإعطائها كل حقوقها !! .

ومقياس كرامة المرأة عند هؤلاء وأمثالهم هو مقدار ما تبذله المرأة لهم من جسدها استمتاعاً معنوياً وحسياً ! وكلما زاد تمتعهم بها وخفت عنهم الضغوط التى تحارب هذا الاستمتاع زعموا أن هذا المجتمع هو المجتمع المتحضر الراقى الذى تستمتع فيه المرأة بالعدالة والمساواة . وما علم أولئك أن أكبر من يعانى فى هذه المجتمعات التى يتغنون فيها بنيل المرأة كافة حقوقها وحصولها على كرامتها واحترام أنوثتها هى المرأة المسكينة لأنها فى تلك الحضارة الزائفة سلعة تباع وتشترى حقيقة لا مجازاً ! بجسدها تفتتح مشاريع وتقام متاجر وتجري مرابحات وصفقات ! إن المرأة فى تلك البلدان لها عصر ذهبي من عمرها تستمتع به فى الظاهر ، ويستمتع به الرجل فى الواقع والحقيقة ، وهذا العصر الذهبي لا يزيد فى أغلب الأحوال عن عشرين سنة ، تبدأ عادة بسن الخامسة عشرة ، وتنتهى بسن الخامسة والثلاثين ، وهى فيه عبارة عن وردة فى حديقة عامة ، يجب أن تكون دائماً جميلة ناعمة ذات عطر فواح ، لتعجب كل عين تراها ، فيشمها كل من يمر بها ، ليستمتع بعبيرها وشذاها الأخاذ .

أما إذا استهلكت تلك الوردة وذبلت فإنه يلقى بها مع المهملات ليحل محلها وردة أخرى جديدة ، ليستمتع بها الجميع مرة أخرى لتلقى فى النهاية مصير سابقتها ، وهكذا ...

---

(١) مقارنة الأديان د . أحمد شلبي جـ٣ .

إن النساء هناك إذا بلغن الأربعين أحسسن باليأس والقنوط وعدم الرغبة فى الحياة ، لأنهن يعرفن أن دورهن فى الحياة انتهى ، وأصبح وجودهن غير ذى جدوى بمقاييس هذا المجتمع الحيوانى النهم ، وأن عليهن الرحيل ، فالرجل الذى كن محط نظره فى السابق أعرض ونأى بجانبه وهجرهن إلى الصغيرات والمجتمع الذى كن يوماً نجومه وأعيانه لفظهن ولم يكترث بهن .

وهذا كله ناتج عن كون المرأة فى تلك المجتمعات تقضي فترة شبابها ـــ كما تزعم ـ حرة طليقة ، تصاحب من شاءت وتزاحم الرجل فى كل ميدان من ميادين عمله ، فينقضى عمرها بدون زواج ، أو تتزوج وترزق بأولاد ولكنها مشغولة عنهم بنفسها وجمالها وعلاقاتها !

ومن ثم هم اليوم مشغولون عنها بأنفسهم وجمالهم وعلاقاتهم ، وكما تدين تدان . ومن الطبيعى جداً أن ترى النساء هناك يعشن كل واحدة منهن وحيدة فى بيت خاص بها ، تعول نفسها وتكد وتكدح وهى المرأة الضعيفة ، لتحصل على لقمة عيشها حيث تعمل في شتى المهن ، من احتراف الفاحشة زمن الشباب والصبا ، إلى القيام بأعمال التنظيف والكنس في المحلات والمطاعم والمستشفيات بعد أن تكبر وتنتهي صلاحيتها الجنسية بالنسبة للرجال . وقد يكون لهذه المرأة أولاد ، ولكن كل مشغول بنفسه ، غارق في شهواته ولذاته ، إلى درجة أنه يمر على هذه المرأة سنون عدة لا ترى فيها أحداً من أولادها ، أو حتى تسمع خبرا عنه ، وإن كانوا معها في المدينة التي تقيم فيها ! والنساء الكبيرات قد يمتن في بيوتهن ، فتمر عليهن عدة أيام إن لم تكن أسابيع قبل أن يكتشف أمرهن . هذه هي كرامة المرأة ومساواتها بالرجال التي يزعم المرجفون والمنافقون أن المجتمعات الغربية تتمتع بها وأن نساء المسلمين في ظل تعاليم الإسلام محرومات منها ، وإنهن مهانات ذليلات !

إن المهانة الذليلة عند هؤلاء الحمقى هي الأم التي تكون الجنة تحت قدميها ، أو الزوجة التي يسكن إليها زوجها ويعاشرها بالمعروف ويعد أفضل دينار ينفقه هو

ما ينفقه عليها ، أو البنت أو الأخت التي يحسن إليها أبوها أو أخوها ويعتبر حسن تربيته لها وقيامه بحقوقها وتوفير كافة احتياجاتها طريقه إلى الجنة بعد طاعة الله .

أما المرأة العزيزة المكرمة عند هؤلاء المنافقين المرجفين ، فهي التي تظهر جسدها عار ، لتقدم الخدمات في المطاعم والفنادق وشركات الخدمات العامة ، لتكون عاملا مهما لجذب الزبائن بجسدها ، أو تلك التي تقوم بأدوار الحب والغرام إن لم يكن الإغراء والجنس في الأفلام والمسلسلات الهابطة !

هذه هي كرامة المرأة ومساواتها بالرجال التي يزعم هؤلاء المغفلون أن المجتمعات الغربية تتمتع بها ، وأن نساء المسلمين في ظل تعاليم الإسلام محرومات منها وأعتقد أن كل ذي عقل واع وفكر سليم يعرف حتما من هي المرأة الكريمة العزيزة ، ومن هي المرأة المهانة الذليلة ، وما أحسن قول الشاعر :

أيها الأحمق المغفل تلقى كل أكذوبة بكل سهولة
فتسمى ابتذال حواء علما وتسمى التي تعف جهولة [1]

والحق أن الإسلام منح المرأة كل خير وصانها عن كل شر ، ولم يأب عليها سوى ما دفعتها إليه هذه المدنية الكاذبة من حرية جعلت المرأة الغربية إذا ما خلت إلى ضميرها الإنساني ، تبكي على الكرامة المفقودة والعرض المبتذل والسعادة الضائعة .

وستعلم المرأة متى ثابت إلى رشدها أنه لا منقذ لها ، ولا حافظ لكرامتها وحقوقها ، سوى هذه التعاليم الإلهية التي يحاول خصوم الدين والسائرون في طريقهم من أبناء المسلمين ، أن يصوروها بصورة الأغلال التي تطوق الأعناق ، وتحول بينها وبين ما لها من حق في الحياة .[2]

---

(١) خواطر حول الزواج والأسرة ص ١٧

(٢) الإسلام عقيدة وشريعه للإمام الشيخ محمود شلتوت ص ٢١٩